سادسًا:

تحري منهاج أهل السنة والجماعة في جملة هديه

المقصود الأعظم من الدعوة إلى الله تعالى أن يدعى الناس إلى عبادة الله وحده والكفر بالطاغوت ـ وبقية المقاصد تأتي تبعًا له وتتحقق بتحقيقه ـ، وهذا الأمر هو الذي بعث الله تعالى به جميع رسله من أولهم إلى آخرهم، قال سبحانه وتعالى:] D E F G H I J K L M N P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a Z [النحل:٣٦].

وحقيقة هذا المقصود: اعتقاد أن الله تعالى وحده هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده بالحق، وأن لا يشرك به في عبادته وخصائصه أحد من الخلق كائنًا ما كان، فيجب أن يعبد تبارك وتعالى وحده من المكلفين، فلا يسوى به غيره، ولا يلتفت بشيء من حقه لأحد من خلقة كائنًا من كان، فكما أنه لا خالق غيره فلا رب سواه ولا إله حق إلا هو، فلا معبود بحق سواه، فوجب إخلاص العبادة لله، والبراءة من كل معبود سواه ومن كل عبادة لغير الله، وسبيل ذلك اتباع النبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال وسائر الأحوال، فإنه هو الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم، وخاطبه بقوله:] J K L M N O P Q S T U V W X Z [\ ] _ ` a b c d Z [المائدة:٦٧]، وخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله:] لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا Z [الأحزاب:٢١]، وتهدد المخالفين له بقوله:] [^ _ ` a b c d e f g h Z [النور:٦٣]، وجعل الله سبحانه اتباعه ﷺ ظاهرًا وباطنًا سببًا لمحبة الله ومغفرته، فقال تعالى:] > ? @ A B C D E F G H J K L Z [آل عمران:٣١].

وقد بين ﷺ ما نُزِّل إليه من ربه بقوله وفعله وتقريره وإنكاره على من خالفه وإيضاح وجه الصواب فيه بيانًا كافيًا شافيًا قامت به الحجة واتضحت به المحجة، وزالت به المعذرة، ووجب به العمل على جميع من بلغه، فإنه ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده وترك الأمة على بيضاء نقية، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وعند الصحابة منه خبر، وفي يوم عرفة من حجة الوداع أنزل الله عليه قوله سبحانه:] K L M N O P Q R S T U W X Y Z [\ ] _ ` a b Z [المائدة:٣]، وقرر ﷺ الصحابة في تلك الحجة بقوله: «**إنه يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب**»، **ثم قال**: «**وأنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فأشار بإصبعه السبابة إلى السماء ثم نكتها إلى الأرض قائلًا: «**اللهم فاشهد**»(١).

فقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم الدين عنه ﷺ علمًا وعملًا، لذلك فهم رضوان الله عليهم أعلم الأمة بما أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ،

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٣٠٧٤)؛ وأبو داود برقم: (١٩٠٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهم أئمتها في العمل به، وأسعدها بإصابة الحق والنصح للخلق، فإنهم خير أمة أخرجت للناس، والشهداء على الناس.

وهم رضي الله عنهم كما قال فيهم ابن مسعود رضي الله عنه: أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا، وأصدقها ألسنًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فاتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، وقد اتفقوا ولله الحمد على أصول العقيدة وجملة أحكام الشريعة، وما اختلفوا فيه من الأحكام فهم مجتهدون فيه، ولا بد أن يكون الصواب مع أحدهم، فلا يمكن أن يتفقوا على ما يخالف الصواب، فإن هذه الأمة معصومة من أن تجتمع على ضلالة، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فهو معذور وخطؤه مغفور، فله أجر اجتهاده ونصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعباده، وعلى المجتهد أن يتحرى الصواب من أقوالهم وفتاويهم.

أ- فإنهم رضوان الله عليهم قد خلفوا النبي ﷺ في أمته في نشر العلم، والدعوة إلى الهدى، وإحياء السنن، وإنكار البدع، والشدة على أهل الأهواء، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فكانوا بحق خلفاء الرسول الأمين ﷺ، وأئمة الأمة من بعده إلى يوم الدين، وقد بلغوا التابعين العلم كما حفظوه، وعلموهم العمل كما تعلموه، وشاهدوهم وهم يعملون بما بلغوه وعلموه، فما كان من عملهم وهديهم صحيحًا أقروه، وما كان خلاف ذلك أنكروه وصححوه، فبلغوا العلم والعمل والهدي بأمانة وإخلاص ونصيحة، فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ب- ولقد سار التابعون للصحابة بإحسان رحمهم الله تعالى على منهاج الصحابة في فهم الكتاب والسنة، والعمل بهما، وتعليمهما الأمة، والنصح للرعاة والرعية، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإنكار على من خالف الحق وسعى في ظلم أو إضلال الخلق.

ت- وعلى هذا النحو أيضًا مضى من جاء بعدهم من تابعي التابعين وأئمة الهدى والدين، أولئك الذي لزموا سنة النبي ﷺ واجتمعوا عليها حتى عُرِفُوا هم وأتباعهم بها فسموا فيما بعد: «**أهل السنة والجماعة**»، وكان منهاجهم سبيل النجاة من فتن الدنيا وعذاب الآخرة.

فمن أحب أن يُلحقه الله بالسلف الصالحين، وأن يجعل له لسان صدق في الآخرين فليسلك سبيلهم، وليتحرَّ آثارهم، ويمضِ على هديهم ومنهاجهم، حتى يكون من الطائفة الناجية الظاهرة المنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها ـ اللهم اجعلنا من أئمتهم آمين ـ، فهي الطائفة التي يحفظ الله بها الدين والهدى، ويقيم بها الحجة على أهل الضلال والردى.

ومن لم يسعه سبيلهم فلا وسع الله عليه، ومن تنقصهم وصد عن منهاجهم فإنما يعود وبال أمره عليه، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : Z [التوبة:١٠٠]، وقال سبحانه:] < ? @ A B C D E F G H I J K L M N O Q R Z [النساء:١١٥].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمقصود: أن الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الأمة والتي هي قواعد وجوامع مذهب أهل السنة والجماعة هي أصول ومعالم الحق وبراهين الصدق، من اهتدى بها هُدي وعصم من الضلالة والردى، وهي المعايير التي توزن بها الاعتقادات والأقوال والأعمال وأحوال الرجال ومناهج الطوائف والجماعات وسياسات الدول والمؤسسات، فما وافقها فهو الحق الصراح الذي يُرجى أن يتحقق به لمن كان عليه الصلاح والإصلاح والفوز والفلاح، وما خالفها فهو الباطل الذي ينبغي أن يُقابل بالرد والاطّراح.

فعلى الدعاة إلى الله ـ وكل مريد لنفسه النجاة والفلاح ـ أن يتمسك بهما ويدعو إليهما، أعني: الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من الأمة، وأن يزن بها كل ما يُعرض عليه مما ينسب إلى الدين، ويزعم أنه قربة إلى رب العالمين فما وافقها قبله، وما خالفها طرحه ورده على من جاء به، وأن يحذَر ويُحذِّر ممن خالفها وما خالفها.

أصول ومعالم منهاج السلف الصالح:

ولمنهاج أهل السنة والجماعة أصول ومعالم تميز سالكيه، وتغري كل مسلم بأن يكون من أنصاره ومتبعيه، وتعطف قلوب وألسن مريدي الحق على محبة صاحبه والثناء عليه، وهي في نفس الوقت تحفظ الدين وتنشره وتوضحه، وتسم المستمسك بها بسمة السلف الصالح، وتكمل خصاله وسجاياه، وتبين مخالفه والصاد عنه وتفضحه، فينبغي للداعية إلى الله تعالى وكل مسلم أن يستمسك بتلك الأصول، وأن يهتدي بتلك المعالم حتى يكون من أنصار الحق ودعاة الهدى، وحتى يكون في عصمة ونجاة وأمنٍ من الفتن وأسباب الهلاك والردى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفيما يلي ذكر لتلك الأصول، وإشارة إلى بعض تلك المعالم:

أ- **الاعتصام بالقرآن العظيم**، قال تعالى:] D C B A Q P O N M L K J I H F E \ [Z Y X W V U T S R ^ _ ` a b c d Z [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: [{ | } ~ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ Z [الزخرف:٤٣].

فإن هذا القرآن هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، وصفه الله بأنه نور وهدى، وموعظة وذكرى، وتبصرة وضياءًا، وتبيانًا لكل شيء، وهاديًا للتي هي أقوم، ومصدقًا لما قبله من الكتاب ومهيمنًا عليه وهو مشتمل على بيان أصول العقائد الصحيحة، وكليات الأحكام الحسنة الميسرة الحكيمة، وأمهات الأخلاق الكريمة، والنهي عن ضد هذه الأمور من اعتصم به عصم من الفتن، ومن تمسك به نجا من الشرور والعذاب والضلال، ومن أعرض عنه وكله الله إلى نفسه وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا، قد تعهد الله بحفظه وبيانه ولمن تمسك به واتبع هذه أن يبلغه جنته ورضوانه، وقال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله...الخ**»(١).

ب- **اتباع هدي النبي** ﷺ ـ أي: طريقته، وسنته القولية والفعلية والتقريرية ـ في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ظاهرًا وباطنًا، والتمسك به والدعوة إليه قولًا وعملًا وحالًا، والحذر

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم: (١٢١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والتحذير مما خالفه، ومن كل من دعا إلى ضده أو الإعراض عنه، فإن هديه ﷺ خير الهدي وأكمله وأتمه وأحسنه، وبه تُنال المصالح وتُتقى القبائح، فلا يُعارض ما ثبت عنه ﷺ من ذلك برأي أو عمل أحد من الخلق كائنًا من كان، قال ﷺ: «**عليكم بسنتي**»(١)، وقال ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»(٢).

وقد أخبر ﷺ بأن هديه خير الهدي، وحث على لزوم سنته، وبين أنها مع القرآن عصمة لمن تمسك بهما من الضلال، وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به**»(٣)، وقال ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٤)، وفي لفظ قال: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»(٥).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٦٦٩٥)، وأبو داود برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم: (٤٢).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم: (١٠٤١).

(٣) أورده المنذري في شرح السنة: (١/٢١٣)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم: (٢/٣٩٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (١/٥٩) برقم: (١٦٧). قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه...ثم ذكرها، وقال الألباني في تحقيق المشكاة: هذا وهم فالسند ضعيف، فيه نعيم بن حماد وهو ضعيف، وقال الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة: إسناده ضعيف لضعف نعيم بن حماد.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قلت: وذلك لما ورد من نصوص الكتاب والسنة في الأمر بالأخذ بسنته ﷺ، والنهي عن مخالفته، والوعيد الشديد على مشاقَّته، فإن سنته ﷺ بيان لما نزل إليه من ربه، فقد أوتي ﷺ القرآن ومثله معه.

ت- السير على منهاج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار من آل بيت النبي ﷺ الطيبين الطاهرين وخلفائه الراشدين وبقية صحابته ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ والتابعين لهم بإحسان، لما ذكر الله تعالى ورسوله من سابقتهم وفضلهم، وأوجب من محبتهم ومتابعتهم ولما خصهم الله به من الفقه عن الله ورسوله لتلقيهم رضوان الله عليهم عن النبي ﷺ بلا واسطة، فقد حضروا الرسول وشاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل، ورأوا النبي ﷺ وهو يعمل بدين الله وعملوا به مقتدين بهداه، فما وافق الحق أُقِرُّوا عليه، وما خالفه أنكر عليهم، وبين لهم وجه الصواب فيه، فاجتمع لهم صحة فهم الدين وصحة العمل به والدعوة إليه، والنبي ﷺ فيهم والله تعالى يراهم من فوقهم ويقرهم، فقد رضي الله عنهم وأرضاهم، وأثنى عليهم وعدّلهم وزكاهم، وأثنى على من اتبعهم بإحسان ووعده على ذلك بالفوز بالجنان وعظيم الرضوان، وما ذلك إلا لأنهم أجدر الأمة بفهم واتباع الكتاب والسنة وأسعدها بإصابة الصواب في كل مهمة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**»(١)؛ ولما ذكر ﷺ الفرقة الناجية من

(١) سبق تخريجه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النار من بين فرق الأمة قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١)، فبين ﷺ أن أصحابه على هديه، وأنهم أئمة الأمة من بعده؛ ولذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

ث- تعظيم الكتاب والسنة، ورفع مقامهما في نفوس الناس، فإنهما مصدرا العلم وفيهما الهدى، وقد ضمن الله تعالى لمن ابتغى الهدى منهما أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، فالواجب تعلمهما والتفقه فيهما، وأخذ العقائد والأحكام والآداب والأخلاق منهما، فإنهما تِبْيانٌ لكل شيء، وهداية للتي هي أقوم في أمر المعاش والمعاد، وما اختلف الناس فيه من أمر الدين فالواجب الرد فيه إليهما، عملًا بقوله تعالى:] فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ â وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا Z [النساء:٥٩]، فقد أجمع المسلمون على أن الرد إلى الله تعالى هو رد ما أشكل حكمه إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرجوع إليه ﷺ في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

ج- العناية بتعلم وتعليم منهاج السلف الصالح والدعوة إليه، وإظهار مذهبهم في الإيمان والتوحيد والأسماء والصفات والقدر وأحوال البرزخ واليوم الآخر وأهواله، ومواقف الناس فيه والشفاعة والجنة والنار، وفي الصحابة رضي الله عنهم، ومع ولاة الأمر، وفي النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرد على من

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خالفهم، وبيان وجه مخالفته لهم، والذود عن عقيدة أهل السنة والجماعة، والتحذير ممن ينتقصهم أو بعضهم، أو يشكك في شيء من أصول عقيدتهم، وذلك بالأقوال والأفعال والدروس والمواعظ والمحاضرات والخطب والكتابات والمؤلفات إلى غير ذلك مما يتحقق به نشر مذهب السلف الصالح ونصرته والدعوة إليه.

ح- التمسك بشعائر الدين الظاهرة كما أمر الله تعالى وسن رسوله ﷺ، والمحافظة على فرائض الصلوات وما يلحق بها من السنن وأنواع التطوعات وشهود الجمع والجماعات، والإعانة على الخير وتكثير سواد أهله، والنصح لأئمة وعامة المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على ما توجبه الشريعة، واجتناب المعاصي، والبعد عن المحرمات، واتقاء الشبهات ومواطن الريبة، والسلامة من التلبس بشيء من البدع والشركيات أو الطرق الضالة والأهواء المنحرفة، أو تمجيد أحد من أهل هذه الأمور أو السكوت ـ مع القدرة ـ عمن صدر عنه خطأ في العقيدة أو رأي شاذ في الأحكام خصوصًا إذا كان ممن اشتهر بالخير وأحسن الناس به الظن حتى لا يظن عوام الناس ومن في حكمهم ممن ينتسب إلى العلم صواب ذلك، أو أن التسامح في ذلك سائغ، فإن من شأن الدعاة إلى الله تعالى الوضوح في المعتقد والهدي، والصراحة في القول، مع الأدب وعفة اللسان، والبراءة من البدع والأهواء وأهلها.

خ- أمر كل أحد بكل معروف ـ وهو اسم لكل ما عرف من طاعة الله من الإيمان والعمل الصالح ـ، ونهي كل أحد عن كل منكر ـ وهو اسم لكل ما حرمه الله ونهى عنه من الشرك والمعاصي ـ، باليد ثم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

باللسان ثم بالقلب، عن علم ورفق وصبر حسب القدرة، مع ملاحظة تحصيل المصلحة الكاملة أو الراجحة ودرء المفسدة الكاملة أو الراجحة، وسلوك أقرب الطرق التي يحصل بها المقصود قصدًا لنفع الخلق، وإيصالهم إلى كل خير، وإبعادهم عن كل شر.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا النحو من صفة النبي ﷺ في الكتب السابقة، قال تعالى:] D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z Z [الأعراف:١٥٧]، وصفة المؤمنين المقتدين به ﷺ أنهم كما وصفهم الله تعالى بقوله:] c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v x y z { Z [التوبة:٧١]، وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**»(٢).

فأتباع المصطفى ﷺ في هديه المحققون لحسن التأسي به ﷺ عملًا بقول الحق تبارك وتعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * +

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١)، وابن ماجه برقم: (٤٠٠٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

+ , . / 0 1 2 3 4 Z [الممتحنة:٦]، فإنهم يعنون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على ما توجبه الشريعة طاعة لله تعالى، وإحياءً لسنة رسوله ﷺ، ونصحًا للإسلام وأهله.

د- السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف، أبرارًا كانوا أو فجارًا ويكون ذلك فيما لا معصية لله تعالى ورسوله ﷺ فيه، وحث الناس على ذلك لقوله تعالى:] أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ Z [النساء:٥٩]، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(١).

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ أوصى العامة ـ في حق الولاة ـ بقوله: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**»(٢)، وفي حديث آخر قال ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها**»، قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»(٣)، متفق عليه.

وفيهما أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٤)، وفي رواية عند مسلم قال

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٥٧)، ومسلم برقم: (١٨٣٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٢)، ومسلم برقم: (١٨٤٣).
(٤) أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٤)، ومسلم برقم: (١٨٣٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**»(١)، وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**»(٢).

فحق الولاة المسلمين على الرعية السمع والطاعة في طاعة الله وفيما لا معصية لله تعالى فيه من الأمور المباحة من التنظيمات التي لا تخالف الشرع ونحوها، فإن طاعتهم في هذه الأمور من طاعة الله ورسوله، حتى ولو أظهروا شيئًا من الفسوق والمعاصي فذلك عليهم والله تعالى سائلهم عن ذلك وعن ما قد يكون منهم من أثره في الرعية فإن الرعية في الغالب تبعًا للولاة في أمور الدين والدنيا، فإن في الطاعة لهم في المعروف، وإن جاروا وظلموا – من المنافع ما لا يحصى من سعادة الدين وانتظام مصالح العباد في معاشهم ومعادهم وحفظ بيضتهم وتأمين سبلهم وتحقق هيبتهم في صدور عدوهم؛ لاجتماع كلمتهم ووحدة صفهم، قال الحسن رحمه الله وهو ممن ناله أذى شديد من الأمراء والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وإن ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون.

وقيل للإمام أحمد رحمه الله وهو لم يبرد ظهره من جلد السلطان: ألا تدعو على السلطان؟ فقال: لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها في السلطان، أو كلامًا نحو هذا.

ومن القواعد المقررة عند علماء المسلمين: أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لذا كان منهج أهل السنة والجماعة طاعة الولاة والحكام بالمعروف وترك طاعتهم في المعصية والبراءة إلى الله تعالى مما يأتون من المعاصي والفجور والجور والاستئثار بالمال ونحوه والنصح لهم ـ فإن من النصيحة النصح لأئمة المسلمين وعامتهم ـ والصبر على جورهم وإعانتهم على الخير وجمع قلوب الرعية عليهم وتحذيرها من الفرقة والاختلاف؛ لأن غرض أهل السنة والجماعة من ذلك كله طاعة الله ورسوله تحصيل ما اشتملت عليه الشريعة من المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ لذلك لا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبه فيه قولًا وفعلًا، فيشاركون الولاة الظلمة في الخير ويفارقونهم في الشر، ويحرصون على الاتفاق وينهون عن الافتراق.

أما التشهير بولاة الأمر أمام العامة والقدح فيهم بما من شأنه إضعاف هيبة السلطان مطلقًا، أو بسبب ما يأتون من المعاصي، أو ما يحصل منهم من جور، فليس ذلك من شأن أهل السنة والجماعة، وإنما هو من شأن أهل الأهواء، وخصوصًا الخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون الخروج على السلطان بسبب ما يأتي من الكبائر، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**[1]». وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية**»[2].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يحضوا عامة المسلمين على السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، وأن يكونوا أسوة حسنة في ذلك، وأن يحذروا من التهوين من حق الولاية أو تجرأة العامة على الأئمة، فإن ذلك شر وفتنة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٤)، ومسلم برقم: (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومما يجدر التنبيه عليه والتذكير به: أن الدولة والدعوة هما دعامتا إصلاح الأمة، فإذا اجتمعتا تحقق بذلك صلاح عظيم وفلاح كبير، واندفعت شرور كثيرة وفتن عظيمة، وإذا ضعفت الصلة بين الدعاة والحكام أو حصل الاختلاف تشعبت الأهواء وتمكن الأعداء.

فالواجب على الولاة أن يناصروا العلماء والدعاة، وينفذوا أحكام الشرع، ويعظموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد في إقامة العدل، وأن يرفقوا بالأمة جهدهم، فإن ذلك من أسباب التمكين في الأرض، واستقرار الملك، وحلول البركات، وكثرة الخيرات، وصرف العقوبات والبليات.

والواجب على العلماء والدعاة وعامة المسلمين السمع والطاعة بالمعروف للولاة، والنصح للولاة، وإخلاص الدعاء لهم في سائر الأوقات، وإعانتهم على الخيرات، وتذكيرهم وتحذيرهم من عواقب المخالفات، وحث العامة على طاعة الولاة في المعروف، والصبر على الأثرة والجور، والتذكير بأن ذنوب العامة من أسباب جور الولاة وتسلطهم وظلمهم، والتوبة ترفع ذلك عنهم.

وليتذكر الولاة أن الله تعالى قد ابتلاهم بالولاية العامة أو الخاصة، كلٌّ على قدر ولايته، وهو سائلهم غدًا عما استرعاهم، فإن الولاية أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحق وأدى الذي لله تعالى عليه فيها، وإن الله تعالى ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وأنه إذا ضعف وازع الإيمان في قلوب العامة صار الوازع السلطاني أردع للناس عن المعاصي، وأقوم لهم في الطاعة حتى يستقيموا ويصلحوا، وفي الحديث: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن اليمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حكمهم وأهليهم وما ولوا»[١]، وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه**»[٢].

وليتذكر الدعاة إلى الله أنهم من أهل العلم الذين قال الله فيهم:] ! " # $ % & ' ( ) * + Z [آل عمران:١٨٧]، فعليهم البيان والحذر من الكتمان، وليجتهدوا في نصح الخلق وتحري الرفق، وليتحلوا بالصبر، وليثقوا بالنصر وعظيم الأجر مع الصبر.

*****

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٩٣٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سابعًا:

الصبر على المكاره والأذى

أ- **حقيقة الصبر وأنواعه:**

الصبر خُلُق من أخلاق النفس الفاضلة، وقوة من قواها التي بها صلاحها، وقوام أمرها في العاجل والآجل.

وأصله: الحبس، وله معنيان:

أحدهما لغوي: وهو حبس النفس عن الجزع والجهل والسفه، ونحو ذلك مما لا تليق نسبته إلى العاقل.

ثانيهما: ديني شرعي: وهو حبس النفس على موافقة الشرع، وترك ما يخالفه من الأقوال والأعمال والأحوال على وجه التقرب إلى الله تعالى، رغبةً في ثواب الله تعالى، وحذرًا من عقابه، **وهو أنواع:**

فالأول: صبر على ما أمر الله تعالى به من الطاعات: مع ما قد يلحق العبد من مشقة بعض العبادات لتكرارها كالصلاة، أو لمشقة بذلها على النفس كالزكاة، أو لكلفة مباشرتها كالصيام، أو إيذاء الناس للشخص بسببها كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لخطر على البدن أو النفس كالحج والجهاد في سبيل الله.

قال تعالى في الدعوة إلى التوحيد والنذارة من الشرك:] | { ~ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ © فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ Z [المدثر:١-٧]، وقال تعالى بشأن الصلاة:] وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ © نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ Z [طه:١٣٢]، قال تعالى في قصة لقمان:] µ ¶ ¸ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ Z [لقمان:١٧]، وأمر بالصبر في الجهاد ومصابرة الأعداء، فقال تعالى:] يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z [الأنفال:٤٥-٤٦]، وقال تعالى:] يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z [آل عمران:٢٠٠].

فالصبر على امتثال المأمورات وأداء العبادات على أكمل الوجوه المستطاعة وأحسنها، والاستمرار على ذلك مدة الحياة، وعدم الإخلال بشيء منها.

وهكذا المصابرة والمرابطة للأعداء، والتقوى في جميع الأمور والأحوال من أسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

الثاني: صبر عما نهى الله عنه من المحرمات وأنواع المنكرات وظلم البريات، ونهي النفس عن الهوى والوقوع في الشبهات، كلُّ ذلك من جليل وعظيم العبادات وأسباب وراثة الجنات، قال تعالى:] وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ Z [النازعات:٤٠- ٤١].

والصبر على الطاعات أكمل وأنفع للنفس من الصبر عن المحرمات ـ وفي كلٍّ خير، وكلاهما خُلق حسن، وعمل صالح ـ، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الله وأنفع للعبد من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره عنده من مفسدة وجود المعصية وارتكابها، ولكن كل ما نهى الله عنه فإنما نهى عنه لرجحان مفسدته وتحقق مضرته، ولتحقيق كمال ضده،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فيجب تركه وتوطين النفس على الصبر عنه والبعد عن أسبابه ومظانه وأهله، فإنه من تحقيق التقوى وخصال أولي النهي.

الثالث: الصبر على المصائب المؤلمة والحوادث الموجعة: من مرض أو جوع أو فقد قريب أو فوات حبيب أو خسارة مال، قال تعالى:] 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [البقرة:١٥٥]، وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها**»(١)، وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب، ولا وَصَب، ولا هَمّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمٌّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**»(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُردِ الله به خيرًا يصب منه**»(٣)، فهذا النوع من الصبر كفارة، ومع الاحتساب فيه فهو من أسباب الفلاح وربح التجارة.

الرابع: الصبر على الأهواء المضلة: بالإعراض عن الشبهات، والحذر من دعاة الضلالات، قال تعالى:] ´ µ ¶ ¸ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ Z [المائدة:٤٩]، وقال تعالى:] وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ´ µ ¶ ¸ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا Z [الإسراء:٧٣]، وقال تعالى:] ¸ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا Z [النساء:١٤٠]، وقال سبحانه:] وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ à Z [الأنعام:٦٨].

وذلك لأن هذا الصنف المبطل يزخرف باطله بما يجعله مقبولًا عند بعض الناس، وقد يستدل بنصوص من الوحيين بما يُشبِّه به على بعض الناس، لأن الدليل حقٌّ ولكن الاستدلال باطل.

وعامة الناس وجملة ممن ينتسب إلى العلم يَلفتُ نظره الدليل ولا يدرك بطلان الاستدلال، فعند استماع هؤلاء إلى أهل الباطل والضلال قد تنفذ الشبهات إلى قلوبهم، فتسبب شكهم وحيرتهم وزهدهم في الحق، وتأثرهم بالباطل، ولذا نهى الله تعالى عن مجالسة المبطلين، وأمر بالإعراض عن الجاهلين، وحذر من شبهات المضللين المضلين، ومجادلتهم المفتونين لما في مجالسة هؤلاء، والإصغاء إليهم من الضرر المطلق والهلاك المحقق.

ب- **حاجة الدعاة إلى الصبر:**

يحتاج الداعية إلى الله تعالى إلى أنواع الصبر كلها، فلا غنى به عنها، فإنها كلها تجتمع له في دعوته، ولها أثرها العظيم في نجاح مهمته، وهي من أعظم عدته، فحاجته إليها شديدة، **فإنه يحتاج إلى:**

١ - **الصبر على القيام بواجب الدعوة:** امتثالًا لأمر الله تعالى، وعبادة له، ورغبة فيما وعد الله به الدعاة إلى سبيله من الثواب العظيم، والأجر الكريم في الدنيا والآخرة، وحذرًا من عقوبة الله للمفرطين في العاجلة والآجلة.

٢ - **الصبر عن داعية النفس إلى التكاسل في الدعوة:** وترك مواجهة الناس.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣- **الصبر على أذية الخلق الذين يدعوهم إلى الله تعالى**: وكم يتعرض الداعية إلى الله لأنواع من الأذى في سبيل دعوته، وإلى فتن الشبهات والشهوات، وأنواع المغريات؟! حتى يبتلى بعضهم بأنواع من البأساء والضراء والزلازل، والهجرة عن الأوطان، ومفارقة الأهل والأولاد والإخوان.

فلا بد من الصبر العظيم على ذلك كله، طلبًا للأجر الكريم، وحذرًا من الفتنة والعذاب الأليم ـ وإن طال الزمن ـ، وأسوته في ذلك النبي ﷺ؛ فإنه إمام الصابرين، وسيد الشاكرين المؤمنين، ولقد تعرض ﷺ لأنواع الابتلاء وأصناف الأذى فصبر صبرًا عظيمًا، ولما أوذي ﷺ مرة قال: «**رحم الله موسى، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»(١)، وكان ﷺ يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(٢).

فإن الاعتبار بما جرى للنبي ﷺ ولإخوانه من المرسلين وأتباعهم على الهدى والدين وما كانوا عليه من الصبر العظيم والصفح الجميل والكريم، وصدق الضراعة واللجوء إلى الرب الكريم ـ من أنفع الأمور وأحسنها عقبى في العاجل و الآجل ـ، فقد أوذوا في الله فصبروا لله تعالى مستعينين به، فنالوا ثواب الصابرين، ورضا رب العالمين وثنائه عليهم في كلام محكم يتلى إلى يوم الدين، فالاعتبار بما جرى لهم من الشدائد والمكاره وفي البأساء والضراء وحين البأس وصبرهم عليهم الصلاة والسلام على ذلك كله بالله ولله مما يثبِّت الله به الداعية إليه، ويكون من أسباب تخلقه بالصبر الجميل، بل والصفح الجميل، وحسن ظنه بالمولى الجليل، قال تعالى:] وَلَقَدْ ´ µ ¶ ¸ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١٥٠)؛ ومسلم برقم: (١٠٦٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٧٧)؛ ومسلم برقم: (١٧٩٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا Z [الأنعام:٣٤]، وقال تعالى:] ? @ A B C D E F G H Z [هود:١٢٠].

فإن الصبر مع اليقين من أسباب التمكين والإمامة في الدين وهداية الله تعالى ومعيته للصابرين، قال تعالى:] J K L M N O P R S T Z [السجدة:٢٤]، وقال تعالى:] p q r s t v w x y Z [العنكبوت:٦٩]، والأجر على قدر التعب والنصب،والمثوبة على قدر الحسبة وحسن الظن بالرب.

فالداعية إلى الله تعالى في غاية الضرورة إلى الصبر، وهو مرتبة عالية، وخليقة فاضلة لا تنال إلا بأسبابها التي يتجرع بها العبد مرارة الصبر إيماناً بفائدته، وطمعًا في حسن عاقبته وجليل مثوبته، ففي الحديث عنه ﷺ قال: «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»(١)، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**والصبر ضياء**»(٢)، وقال تعالى:] إِنَّمَا يُوَفَّى ç è é ê Z [الزمر:١٠]، وقال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»(٣).

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢٨٠٠)، وعبد بن حميد في مسنده برقم: (٦٣٦)، وأورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٦٠). قال ابن رجب: رواه عبد بن حميد في مسنده بإسناد ضعيف، وانظر كلام أحمد شاكر عليه في تحقيق المسند (١/ ٣٠٧) برقم: (٢٨٠٤)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم: (٢٣٨٢)، والسنة تحقيق الألباني (ص ٣١٦)، ورياض الصالحين للنووي تحقيق الألباني حديث رقم (٦٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩)، ومسلم برقم: (١٠٥٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فليصبر الداعية وليصابر في بيان الحق والدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ومجاهدة نفسه وغيره على الحق وفي سبيل الحق، وليتخلق بسعة الصدر، وعظم الحلم، وطول النَفَسْ، وبعد النظر، حتى تتحقق الغاية المنشودة، وفي الحديث في صفة المؤمن: «**وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١)، وفيه أيضًا قال ﷺ: «**وما أعطى الله أحدًا من عطاءٍ خيرًا ولا أوسع من الصبر**»(٢)، ومن لم يصبر استعجل في أمر له فيه أناة ففاته مقصوده، وشمت به حسوده.

ولذا قال تعالى:] وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ Z [الطور: ٤٨]، وقال تعالى:] O P Q R S T Z [القلم: ٤٨]، يعني: يونس عليه السلام، **أي**: في نفاد صبره ومغاضبته لقومه، وذهابه عنهم بسبب غيرته، فمع أنه حق إلا أنه خلاف الأولى منه عليه الصلاة والسلام في حق ربه وحق قومه؛ ولذا عاتبه الله تعالى ولامه وابتلاه بسبب هذه العجلة، ولعل الحكمة ـ والله أعلم ـ أنه لم يستأذن ربه في مفارقتهم، وإلا فإن قومه مستوجبون للعقوبة؛ لولا أن الله تعالى لطف بهم وبنبيهم يونس عليه الصلاة والسلام فرحمهم وإياه فاستجاب دعاءهم، وصرف العقوبة عنهم، وقبل إيمانهم ورد إليهم نبيهم، ومتعهم إلى أجلهم؛ ولهذا نهى الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يتأسى بيونس عليهم الصلاة والسلام جميعًا في هذا الأمر لكونه خلاف الأولى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩)، ومسلم برقم: (١٥٠٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ج- خطر ترك الصبر:

وقلة الصبر قد يحمل الداعية على ترك مهام الدعوة، وهجران ميدانها، وفي ذلك خطر عظيم عليه، وفتنة كبيرة له ولغيره، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**»(١)، ومن لم يصبر تأخر ولا بد، وتنازل عن دعوته، ومتى تنازل كان محل طمع الشيطان وجنده في أن يفتنوه عن دينه، ويصدوه عن هدى ربه لينضم إلى ركب الباطل، وحزب الشيطان الخاسر، ويُخشى على مثل هذا أن يكون داخلًا في قوله تعالى:] m l k y x w v u t s r q p o n z { | } ~ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ Z [الأعراف:١٧٥- ١٧٦].

د- بعض ثمرات الصبر:

فالإيمان والخير والصلاح والنصر، وسعادة الدنيا والآخرة، والنجاة من الفتن والمكاره في العاجل والآجل، كل ذلك مقرون بالصبر، ولذا تواترت النصوص بشأنه وفضله وتنوعت في بيان ثمراته وحسن عواقبه:

١- فنزل القرآن بتأكيد الصبر فيما أمر به وندب إليه، وعما نهى عنه وكرهه، وجعله من عزائم التقوى، ومن خصال أولي النهى الفائزين بخير الحظوظ وأوفرها في الدنيا والأخرى، فكم في القرآن من الأمر به والثناء على أهله، والتنبيه على جميل عواقبه وجليل منافعه.

٢- وأكثر الله تعالى من ذكره، فقد ورد ذكره في أكثر من ثمانين موضعًا ينبه سبحانه في جملتها المخاطبين واللاحقين على عظيم منافع الصبر،

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٣٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكريم آثاره على صاحبه في الدنيا والآخرة ويحثهم عليه، فقد علق الله تعالى محبته بالصبر، وجعلها للصابرين:] وَٱللَّهُ يُحِبُّ Z [آل عمران:١٤٦]، وأخبر على وجه الثناء والبشارة بمثوبته أنه سبحانه مع الصابرين له تعبدًا وبه استعانةً، يعدهم تبارك وتعالى بهدايته ونصره وفتحه، قال تعالى:] * , - . / Z [الأنفال:٤٦].

٣- وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، قال تعالى:] J K L M N O P R S T Z [السجدة:٢٤]، وأوصى سبحانه عباده أن يستعينوا بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين، فقال تعالى:] ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ Z [البقرة:١٥٣]، وبيّن أنه إذا اقترن الصبر بالتقوى كان عصمة لصاحبه من ضرر كيد الأعداء:] وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ Z [آل عمران:١٢٠].

٤- وأخبر سبحانه في قصة يوسف أن يوسف عليه السلام وصل إلى العز والتمكين بصبره وتقواه، قال تعالى:] i j k l m n o p q r Z [يوسف:٩٠]، وبشر سبحانه الصابرين بثلاث خصال كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها، فقال تعالى:] ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N P Q R Z [البقرة:١٥٥-١٥٧].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٥- وجعل سبحانه الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا أهل الصبر فقال:] Y Z [\ ] ^ _ ` Z [المؤمنون:١١١]، وعلق سبحانه المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر، قال تعالى:] © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ Z [هود:١١]، وجعل سبحانه الجزاء على الصبر في الدنيا والآخرة بغير حساب فقال:] إِنَّمَا يُوَفَّى ç è é ê Z [الزمر:١٠].

وهذه النصوص وأمثالها كثير بشأن الصبر تدل على أن الصبر:

أ- من عظيم العبادات، وأجل المقامات.

ب- وأن أخص الناس بالله وأولاهم به أشدهم قيامًا وتحققًا به.

ت- وأن الخاصة أحوج إليه من العامة، والكل محتاج إليه، فلا ينال المسلم بغيته ويحقق عبوديته إلا به ـ أي: الصبر ـ.

ث- وأنه سبب عظيم في حصول كل كمال ممكن للمخلوق.

ج- وأن أكمل الخلق سعادة وأعظمهم منزلة في الدنيا والآخرة أعظمهم وأحسنهم صبرًا، ولم يتخلف شخص عن كماله الممكن إلا مِنْ ضعف صبره وقلة جلده ـ غالبًا ـ، فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن فاته أحدهما فهو ناقص؛ وإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمرا كل مقام شريف وحال كامل، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وعزيمة الرشد**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٦٦٦٥)، والترمذي (٣٤٠٧)؛ والنسائي برقم: (١٣٠٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦- وجاءت في السنة النبوية أحاديث صحيحة صريحة تشيد بالصبر وترغب فيه، وتدل على وسيلة تحصيله، ومن ذلك:

أ- **النص على أنه خير ونور**: ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «**والصبر ضياء**»، وقال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١)، رواه مسلم.

ب- **أنه كفارة للخطايا مطلقًا، وأجر مع الاحتساب**: ففي الصحيحين قال ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»(٢) **النصب**: التعب، **والوصب**: المرض.

وفي الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر**» **قال: وقرأ:**] وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ Z(٣).

ج- **النص على أنه من خير العطاء وأوسعه**: كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدًا عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٣٢٥٢).

(٤) سبق تخريجه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي ذلك تنبيه على شرف الصبر وطيب عاقبته، وعظم نعمة الله تعالى على العبد به إذا منحه إياه وأعانه عليه، ووفقه للإخلاص له تعالى فيه، وفي الحديث أنه لا بد للعبد من التصبر لتحصيل الصبر، قال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»، فمن أخذ بالأول فاز بالثاني غالبًا، فالتصبر وسيلة لتحصيل الصبر، والصبر ثمرة يعطيها الله العبد على التصبر، فمنزلة التصبر من الصبر كمنزلة التعلم من العلم، والتفهم من الفهم، والصبر نصف الدين، وذلك أن الإيمان نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ، قال تعالى:] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ Z [إبراهيم:٥]، ولا انفكاك للعبد عن الصبر في سائر أحواله.

*** فإنه إن كان في نعمة ففرضُها الشكر والصبر:**

أما الشكر: فهو قيدها وثباتها والكفيل بنموها وزيادتها.

وأما الصبر: فعن مباشرة الأسباب التي تسلبها، وعلى القيام بالأسباب التي تحفظها، فهو أحوج إلى الصبر على النعمى من حاجة المبتلى على البلوى، والشكر مستلزم للصبر ولا يتم إلا به، ومتى ذهب أحدهما ذهب الآخر.

*** وإن كان في بلية ففرضُها الصبر والشكر أيضًا:**

أما الصبر: فظاهر.

وأما الشكر: فللقيام بحق الله في تلك البلية، فإن لله تعالى على العبد عبودية في البلاء، كما عليه عبودية في النعماء، والواجب عليه أن يقوم بعبودية الله تعالى في الحالين.

ثم إنه مأمور بطاعة الله، وترك معصيته، والصبر على قضاء الله، فعليه أن يصبر على طاعة الله حتى يؤديها، وأن يصبر عن معاصي الله حتى لا يقع فيها،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأن يصبر على أقدار الله فلا يشكو ربه فيها إلى أحد من الخلق، بل يشكو الحال إليه، ويتضرع في كشفها إليه، وينطرح من أجلها بين يديه، فالصبر لازم للإنسان المسلم في سائر الأحوال، ومن لا صبر له فلا دين له، ومن لا دين له فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

٧- ولأئمة السلف رحمهم الله تعالى كلام كثير في نصيحة الأمة بالصبر، وحثها عليه، وبيان حسن عاقبته وجميل أثره، **ومن ذلك:**

- ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (وجدنا خير عيشنا بالصبر).
- وقال علي ر: (الصبر مطية لا تكبو).
- وقال أيضًا: (الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد)، ثم رفع صوته فقال: (ولا إيمان لمن لا صبر له).
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أفضل العدة الصبر في الشدة).
- وعن خالد بن الوليد ر قال: (إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن مع الصبر النصر).
- وقال الحسن البصري رحمه الله: (الصبر من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده).
- وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانه الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه).
- ومن خطبة الحجاج بن يوسف قال: (اقدعوا هذه النفوس، فإنها طَلَعةٌ إلى كل سوء، فرحم الله امرءًا جعل لنفسه خطامًا وزمامًا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وصرفها بزمامها عن معاصي الله، فإن الصبر عن معاصي الله أيسر على العبد من الصبر على عذاب الله).

- ومن كلام بعض الحكماء قول أحدهم: (بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ).
- وقول الآخر: (بمفاتيح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور).

وقد عرف الناس من تقلُّبهم في الحياة أن الله تعالى قد جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يُهزم، وحصنًا حصينًا لا يُهدم، وأنه والنصر أخوان شقيقان وحليفان لا يفترقان، والنصر مع الصبر، والصبر مقدمة الظفر.

فما أحوج الدعاة إلى الله تعالى إلى الصبر! وأسعدهم به! وما أحسن عواقبه على أهله في عاجل أمرهم وآجله! فليجعلوه من نفيس عدتهم وليستعملوه وقت حاجتهم وليحسنوا استعماله؛ لينالوا مثوبة ربهم، وحسبهم قول تعالى:] ; > Z [البقرة:١٥٥].

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثامنًا:

الإكثار من ذكر الله عز وجل

ذكر الله تعالى: هو دعاؤه والثناء عليه باللسان، وتقديسه وتنزيهه عن النقائص والعيوب، واستحضار دائم اطلاعه ومعيته للعبد، وتبليغ دينه وهداية عباده إليه، وفعل طاعته وترك معصيته بالجوارح والأركان، وامتلاء القلب من تعظيمه ومحبته وخوفه ورجائه، والتوكل عليه مع الثقة به، والرغبة إليه والرهبة منه في كل آن.

أ- شأن الذكر والنصوص الواردة فيه:

أمر الله تعالى أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، والمصطَفيْن من عباده وعموم المؤمنين به أن يذكروه ويكثروا من ذكره آناء الليل والنهار، وأن يختموا به جليل العبادات، ويتحروا به أشرف الأوقات، شكرًا لله تعالى على أن هداهم واجتباهم، واعترافًا بفضله ونعمه التي أولاهم، واستعانة به على ما كلَّفهم وابتلاهم، وعدة يواجهون به من عاداهم.

فإن الذكر رأس الشكر، وآية الاعتراف والاغتباط بالفضل لذي الفضل سبحانه، وهو نِعْمَ العون والعدة للأمور المهمة ومن براهين ذلك:

١ - أن الله تبارك وتعالى قد أمر به خواص خلقه والمصطفين من عباده وعامة المؤمنين به، فقال سبحانه لزكريا بعد أن بشره بيحيى عليهما السلام:] k l m n o p Z [آل عمران:٤١]، وخاطب تعالى نبيه محمدًا ﷺ بعد أن منَّ عليه بالنبوة والرسالة بقوله:] L M N O P Q Z [المزمل:٨]، وقال جل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذكره:] وَٱذۡكُر ´ µ ¶ ¸ وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ Z [الأعراف:٢٠٥].

٢- وأنه تعالى وعد الذاكرين المكثرين من ذكره وعودًا كريمة وأجورًا عظيمة، قال تعالى:] B C D E F Z [الجمعة:١٠]، وقوله:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ à ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ! " # $ & ' ( ) Z [الأحزاب:٤١- ٤٤]، وقال تعالى:] فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ Z [البقرة:١٥٢].

٣- وكم جاء في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة تحث على ذكر الله عز وجل، وتبين عظم فضله وكثرة أجره، وحسن عاقبته على أهله في الدنيا والآخرة، فمن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريقه إلى مكة فمر على جبل يقال له جُمْدان فقال: «**سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون**» قيل : وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(١).

وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ رضي الله عنه وعند الطبراني عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة،**

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله عز وجل**»(١).

وروى ابن حبان عن معاذ رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل**»(٢)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عتق عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت حرزًا له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك**»(٣)، «**ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٤).

وفي صحيح مسلم عنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»(٥).

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يكثروا من ذكر الله عز وجل، عبادةً له وتقربًا إليه، ومحبة له، وإجلالًا له، وتلذذًا بذكره، ورغبةً فيما وعد الله الذاكرين

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢٧٩٠٥)؛ والترمذي برقم: (٣٣٧٧).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣/٩٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٩٣)؛ ومسلم برقم: (٢٦٩١).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٥).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المكثرين من كريم الثواب وحسن المآب، واستعانة به على عبادة الله وطاعته والدعوة إليه ومواجهة المدعوين والتحصن به من أذاهم وشرهم وفتنهم ومن شر كل ذي شر من الخلق، وأسوتهم في ذلك نبي الهدى محمد ﷺ في كمال ذكره لربه، وكثرته وتنويعه، وتحري جوامعه وأشرف أوقاته وأحسن هيئاته.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل، بل كان كلامه كله في ذكر الله تعالى وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا لله، وإخباره عن أسماء الر ب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرًا منه لله، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكرًا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرًا منه له بقلبه، فكان ذاكرًا لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله. وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته)[١].

ب- من فوائد ذكر الله:

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (الوابل الصيب من الكلم الطيب): لذكر الله تعالى أكثر من مائة فائدة، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها، وقد تقدم ذكر شيء من شأن الذكر من كلام الله تعالى، وما صح عن النبي ﷺ من بيان، فخير الدعاة إلى الله تعالى وأسعدهم في العاجل والآجل، وأكملهم اتباعًا للنبي ﷺ وأسعدهم بمعية الله وهداه وحفظه وأنفعهم لأنفسهم والناس، وأقواهم في الدعوة إلى الله أكثرهم لله ذكرًا، فإن ذكر الله تعالى مفاتيح لخزائن الخير، ومغاليق لمداخل الشيطان، وقطع لذرائع الشر،

(١) انظر زاد المعاد (٢/ ٣٦٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وجُنَّة من الخطر، وشر ما يجري به القدر، وعصمة من الفتن، ومطردة للشيطان، ومدد وعون وهداية وتسديد من الله تعالى للعبد وفتح لقلوب المدعوين، وشرح لصدورهم لهدى رب العالمين، وأوفر الناس حظًا من ثواب كل عبادة أكثرهم لله تعالى ذكرًا، وأكملهم من ذلك اقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

فقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تفيد أن أفضل أهل كل عبادة أكثرهم لله ذكرًا، فأفضل المصلين أكثرهم لله ذكرًا، وأفضل المتصدقين أكثرهم لله ذكرًا، وأفضل الصوام أكثرهم لله ذكرًا، وأفضل الحجاج أكثرهم لله ذكرًا، وأفضل المجاهدين أكثرهم لله ذكرًا، فهكذا أفضل الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أكثرهم لله تعالى ذكرًا.

ومما ورد صريحًا في ذلك ما رواه البيهقي مرسلًا أن النبي ﷺ سُئل: أي أهل المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم لله ذكرًا عز وجل**». قيل: فأي أهل الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم لله ذكرًا عز وجل**». قيل: فأي المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم لله ذكرًا عز وجل**». قيل: فأي الحجاج خير؟ قال: «**أكثرهم لله ذكرًا عز وجل**»[(١)] الحديث، وفيه: قال أبو بكر رضي الله عنه: ذهب الذاكرون بالخير كله.

قلت: ومما يؤيد ذلك أن الله تعالى شرع الذكر وأمر به ورغب فيه مع وبعد هذه العبادات وغيرها، وذلك - والله أعلم - لأن ذكر الله تعالى يُرغّب الذاكر في العبادة، ويُنشّطه ويقويه عليها، ويدعوه على تكميلها والإحسان فيها، ويكمل نقصها ويسد خللها، ويحض على المداومة عليها والاستزادة مما شرع من جنسها، ويطرد الشيطان عن العابد حتى لا يفسد عليه عبادته وسائر عمله.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٠٨)، وأخرج الإمام أحمد مثله برقم: (١٥١٨٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالداعية إلى الله تعالى أولى الناس وأحقهم وأحوجهم إلى الاشتغال بذكر الله تعالى والإكثار منه، ليستعين به على مهمته وليتوصل به إلى بغيته، وليحصِّل به فوائده العظيمة ومنافعه الكبيرة وأجوره الكثيرة، وليستجن به من الشيطان الرجيم ومما يخاف ويحذر من العوائق والأخطار وغير ذلك مما هو عرضة له آناء الليل والنهار، فيحتاج إلى أن يذكر الله تعالى على كل أحيانه وفي جميع أحواله.

ولهذا لما أرسل الله تعالى موسى وهارون ـ عليهما الصلاة والسلام ـ لدعوة فرعون كان مما أرشدهما إليه قوله سبحانه:] i j k l m n o p Z [طه:٤٢]، أي: لا تفترا ولا تكسلا عن مداومة ذكري بالاستمرار عليه، والْزَمَاهُ كما وعدتما بذلك في قولكما:] كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا Z [طه:٣٣-٣٤]، فإن ذكر الله تعالى فيه معونة على جميع الأمور ويسهلها ويخففها.

ولقد أرشد الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام الدعاة المصلحين بقوله:] وَٱذْكُر ´ µ ¶ ¸ وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ Z [الأعراف:٢٠٥]، فأمره الله سبحانه بالإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصًا طرفي النهار ـ لما فيهما من مزية وفضيلة على غيرهما ـ، وأن يكون مخلصًا لله خاشعًا متضرعًا مضطرًا متذللًا ساكنًا متواطئًا على الذكر قلبه ولسانه بأدب ووقار وإقبال على ربه بقلبه، وأن يحذر الغفلة، فإن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه، وقال تعالى:] [\ ] ^ _ ` a b c d

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

e f Z [غافر:٥٥]، فأمره بالصبر الذي يحصل به المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور والمرهوب، وبالتسبيح بالعشي والإبكار الذين هما أفضل الأوقات لتكفير الذنوب والفوز بالمطلوب، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة، ما فيهما لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور وخاصة الدعوة إلى الله تعالى.

وهذا يبين أن الإكثار من ذكر الله تعالى من أعظم العون على القيام بالمهام العظيمة، ولا سيما الدعوة إلى الملة المستقيمة.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تاسعًا:

المحافظة على الصلوات وغيرها من فرائض الطاعات والإكثار من التطوعات

أ- بيان فضل الصلوات وشأنها في نجاح الدعاة:

الصلاة أعظم فريضة عملية، وأجل شعيرة دينية بدنية يقوم بها المسلم خمس مرات يوميًا في الفريضة وما شاء الله من النافلة بين يدي ربه تبارك وتعالى، خاضعًا لكبريائه، متذللًا لعظمته، مستسلمًا له بروحه وبدنه، متجردًا لله سبحانه وتعالى بقصده، يرجو القرب منه سبحانه والزلفى لديه، وأن يزحزحه ويبعده عن ناره وأنواع عذابه، وأن يسكنه الفردوس من جناته، ويحل عليه عظيم رضوانه، وكم فيها من تربية للنفس على تحقيق التقوى والإنابة والصبر والمجاهدة والتوكل والمحبة، إلى غير ذلك مما تتطهر به النفس من أدناسها وتنجو به من موجبات خسرانها وإفلاسها، ويتحقق لها به الصلاح والفلاح حتى تتبدل النفس من أمارة بالسوء ولوامة إلى نفس مطمئنة ترجع إلى ربها راضية مرضية، وذلك لما جمع الله تعالى لعباده في الصلاة من أخص أعمال العبودية، فقد اشتملت على أكمل الأحوال وأحسن الهيئات وأفضل الأذكار والتعظيمات وأجمع الدعوات لسائر المطلوبات.

ب- منزلة الصلاة عند المرسلين والنبيين عليهم الصلاة والسلام:

الصلاة خير عمل يستعين به العبد على تزكية نفسه ونهيها عن هواها، ودعوة الأمة إلى الخير والهدى لتسعد في دنياها وأخراها، فنعمت الراحة للروح والبدن، ونعمت المنجية من الفتن والمحن، ونعمت الوسيلة للهداية إلى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحق والجالبة للرزق، ونعمت العبادة الواصلة لصاحبها بالله، والمعينة له على طاعة الله ومجاهدة من أعرض واستكبر واتبع هواه، ولذا سألها إبراهيم عليه السلام لنفسه وبنيه فقال:] رَبِّ ´ µ ¶ ¸ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ Z [إبراهيم:٤٠]، فاستجاب الله له فجعلها قرة عينه، وعبادة ظاهرة في بنيه من بعده يتقربون بها إلى الملك القدوس السلام، وأصبحوا بها أئمة هداة للأنام، واستعانوا بها على جليل الأعمال وعظيم المهام، قال تعالى:] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 Z [الأنبياء:٧٢ - ٧٣].

فلما كانت الصلاة أجل عمل بدني يتقرب به العبد إلى رب العالمين، ومن أعظم أسباب الإمامة في الدين اعتنى بها ورثة إبراهيم من صالحي ذريته وأتباعه على ملته، فذكر الله تعالى إسماعيل عليه السلام مثنيًا عليه بالعناية بالصلاة بقوله:] 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F Z [مريم:٥٤ - ٥٥].

وكانت الصلاة أول ما أمر الله بها موسى وأخاه هارون وقومهما فقال تعالى:] ' ( ) * + , - . / 0 1 Z [طه:١٤]، وقال سبحانه:] وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ © أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا ´ ¶ ¸ Z [يونس:٨٧].

ولقد تميز نبي الله شعيب عليه السلام بالعناية بالصلاة، وظهرت آثارها على نفسه وفي دعوته، حتى عرف قومه أثرها في نفسه، وعدُّوها سببًا لما

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ينصحهم به من التوحيد وإيفاء الكيل والوزن وترك ظلم الناس وما ينذرهم عنه من الشرك والبخل والإفساد في الأرض وعواقب ذلك:] t u v w x y z { | { ~ نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ © Z [هود:٨٧].

وهكذا عيسى عليه السلام يخاطب قومه في صباه آية على نبوته من الله الذي أوصاه بالصلاة والزكاة مدة الحياة فيقول:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l Z [مريم:٣٠- ٣١].

ت- منزلة الصلاة عند نبينا محمد ﷺ:

وها هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وخليل رب العالمين محمد ﷺ يرشده الله تبارك وتعالى في أوائل نبوته إلى أن يأخذ حظًا وافرًا من الصلاة ليستعين بها على تحمل أعباء النبوة ودعوة الأمة، ولتكون له راحة وفرجًا من كل غم يصيبه، فيقول سبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : Z [المزمل: ١- ٥].

فكانت الصلاة أول عمل يوجه الله تعالى النبـي ﷺ إليه، وفريضتها أول فريضة فرضت عليه في وقت بلغ أذى الكفار له غايته وكاد صبره أن يصل نهايته، فأسري به ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلى فرأى هناك من آيات ربه ما رأى، وفرضت عليه الصلاة هناك بلا واسطة، فرضت خمسين في اليوم والليلة، ثم خففت إلى خمس فصارت خمسًا في العدد وخمسين في الثواب، تكريمًا له وتخفيفًا على العباد، وأمر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مع الفريضة بمواصلة النافلة لينال بذلك عليَّ الدرجة وشريف المقام:] =
K J I H G E D C B A @ ? >
Z X W V U T S R Q P O N M L
[الإسراء:٧٨- ٧٩].

فكانت الصلاة مفزع النبي ﷺ من همومه، وراحة نفسه وقرة عينه، ومنذ فرضت عليه الصلاة وهو ﷺ في انشراح صدر ويسر أمر وارتفاع ذكر، ودينه في ظهور، وأتباعه في ازدياد وعز، وخصومه في إدبار، وكان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فإذا قيل له : لم تصنع ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا؟**»(١)، وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وكان ﷺ يقبل بصلاته على ربه، ويطيل الصلاة -خاصة في الليل-، فكان ﷺ يقرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعة، يقرأ مترسلًا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم يركع فيقول: «**سبحان ربي العظيم**» في ركوعه، ويطيل حتى كان ركوعه قريبًا من قيامه، ثم يرفع قائلًا:«**سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد**»، فيقوم قيامًا طويلًا قريبًا مما ركع، ثم يسجد فيقول في سجوده:«**سبحان ربي الأعلى**»، ويطيل حتى كان سجوده قريبًا من قيامه، فكان للصلاة عنده ﷺ منزلة، وكان له فيها شغل وله معها شأن، وكان ﷺ يقول:«**جعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢)، وكانت أول عبادة تميز بها بعد نبوته، وكانت له نعم العون على دعوته.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٨٣٧)؛ ومسلم برقم: (٢٨١٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٣/٢٨٥)، والنسائي برقم: (٣٩٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فإذا كانت الصلاة بهذه الأهمية ولها تلك الآثار المباركة، ولصفوة خلق الله من النبيين والمرسلين بها ذلك الاهتمام والاغتباط، وقد قال تعالى:] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ Z [الأنعام:٩٠]، وقال سبحانه:] لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا Z [الأحزاب:٢١].

ث- ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة من العناية بالصلوات:

فجدير بالدعاة إلى الله تعالى وهم من ورثة النبيين في العلم النافع والعمل الصالح ودعوة الخلق إلى الخير والهدى أن يعتنوا بالمحافظة على فرائض الصلوات في المساجد مع الجماعات، وألا يتساهلوا في شيء منها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا؛ فإنها أعظم الفرائض بعد التوحيد، وخير الوسائل لعلو المقام في الدنيا والآخرة، وأعظم ما يستعان به على هداية الخلق للحق، فما أعظم بركتها، وأحسن عاقبتها على أهلها في الدنيا والآخرة !! قال تعالى:] M N O P Q R S T U V W X Z [الإسراء:٧٩].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يعنوا بشأنها طلبًا لآثارها، واقتداء بالنبي ﷺ الذي كان يأتي إلى الجماعة مع شدة المرض، حتى كان يجاء به ﷺ إلى المسجد يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، وفي مرضه الذي توفي فيه حاول ثلاث مرات أن يقوم ليغتسل حتى ينشط ويصلي في الجماعة فيغمى عليه في كل مرة، فإذا أفاق قال: «**أصلى الناس؟**» فيقال له: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف في المسجد. فبعد المرة الثالثة قال: «**مُروا أبا بكر، فليصل بالناس**»(١).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٤)؛ ومسلم برقم: (٤١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ج- من فضائل الصلوات وخصوصياتها :

وليتذكر الداعية أنه قدوة للناس في ذلك، فإذا تساهل في حضور الجماعة في صلاة واحدة تساهل من حضره من الناس في عدة صلوات، واستشهدوا بما رأوه منه، وربما زادوا عليه.

وليتذكر الداعية وليذكر من لقي من الناس أن المحافظة على الصلاة مع الجماعة في المسجد بشارة للمحافظ عليها بحسن الخاتمة والوفاة على الإسلام، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.

فهذا ولا شك مما تلقاه ابن مسعود من النبي ﷺ، فإنه لا مجال للرأي، لأنه بيان مقدار ثوابٍ، فهو في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، وناهيكم بما ورد في صحيح السنة من فضائل صلاة الجماعة، والتي ينبغي أن يكون الداعية أسبق الناس إليها وأحرصهم عليها، فإن من سَابق إلى الخيرات سبق إما بنيته وعمله أو بنيته فقط، قال تعالى:] , - . / 0 1 2 Z [المؤمنون:٦١].

والصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما لم تُغْشَ الكبائر فإن الصلوات هن الحسنات اللاتي يذهبن السيئات، ومن أسباب رفعة الدرجات والضيافة في أعلى الجنات، فقد ثبت في الصحيحين قوله ﷺ: «**الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٦٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١).

وفيه أيضًا عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته: إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة**»(٢).

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً** ـ يعني: ضيافة ـ، **كلما غدا أو راح**»(٣)، وقال ﷺ: «**بشِّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٤). فمن أولى من الداعية إلى الله بهذا الفضل.

وكثرة السجود لله تعالى –أيضًا- مما يتوسل به إلى رفعة الدرجة، ومرافقة النبي ﷺ في الجنة، كما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٦٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٢)؛ ومسلم برقم: (٦٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٢٣)؛ وأبو داود برقم: (٥٦١)؛ وابن ماجه برقم: (٧٨١).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٤٨٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفيه أيضًا عن ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ قال: كنت أبيت مع النبي ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته. فقال: «**سلني**». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «**أَوَ غَيْر ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»(١).

فلما كانت الصلاة فريضة ونافلة متميزة بهذه الفضائل الكثيرة والخصائص العظيمة، ولها هذه الآثار المباركة، مع أنها أكبر الذكر ورأس الشكر، والداعية إلى الله تعالى لا غنى به عن بركة الله، ولا مشبع له من فضله، وقد أنعم الله تعالى عليه بما يسر له من العلم النافع، وفتح له من أبواب العمل الصالح، وشرح صدره للدعوة إليه والنصح لعباده، وهذه نعم كبرى ومنح جليَّة كان جديرًا به أن يعتني بأمر الصلاة عامة، وأن يكثر من السجود، وخاصة الفرائض.

ومن تكميل الصلاة واستكمال فضائلها العناية بنافلتها، ذلك لأن نوافل الصلاة يكمل بها نقص فريضتها ويستوفي ثوابها وتزيد حب الله للعبد، ويزداد بها العبد من الله فضلًا كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشر ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة**»(٢).

وفي الأحاديث الصحاح الثابتة عن النبي ﷺ الترغيب في صلاة الليل، وأنها أفضل الصلاة بعد الفريضة، وكم أثنى الله على الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ووعدهم الوعد الجميل وحسن المقيل:] p q r s t u

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{ z y x w v | Z [السجدة:١٧]، ويكون ختامها الوتر قبل الصبح عملًا بقوله ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**»(١)، متفق عليه، وعند مسلم قال ﷺ: « **أوتروا قبل أن تصبحوا**»(٢)، وعند أبي داود وغيره قال ﷺ: «**إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**»(٣).

وصلاة الضحى لها شأن عظيم، فهي صلاة الأوابين، وتعدل ثلاثمائة وستين صدقة التي من أداها في يوم أمسى وقد زحزح نفسه عن النار.

فإذا تحرى الداعية إلى الله المحافظة على هذه الصلوات، وأداها على أحسن الأحوال وأكمل الهيئات، قد أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيء منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها على الوجه المرعي، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيما اختار الله لها من الأوقات، وقد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل على أكمل الحالات، فتراه مقبلًا بقلبه على ربه، فرحًا بإقباله له، ممتلئًا من محبته وتعظيمه وخشيته فيقف بين يدي ربه كأنه يراه ويشاهده، يرجو أن يكون مقربًا من ربه وممن قرت عينه بمناجاته وذكره، حتى يكون من المفلحين الموعودين بالفردوس من الجنات مع المصطفَيْن من البريات.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٩٩٨)؛ ومسلم برقم: (٨٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٥٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٢١٨)، والترمذي برقم: (٤٥٣)؛ وأبو داود برقم: (١٤١٦)؛ وابن ماجه برقم: (١١٧٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ح- فضل بقية فرائض الطاعات ونوافلها المستحبات:

كما أن الصلاة توحيد لله تعالى بالأفعال والأقوال والمال فإن الزكاة توحيد لله تعالى بالمال، والصوم توحيد لله تعالى في ترك المحبوب المألوف، والحج توحيد لله تعالى في جميع هذه الأمور، ولذا كان أحد الفرائض الشريفة، وفرضه الله على هذه الأمة كل عام، ويكفي في بيان عظمة شأن تلك العبادات أنها أركان الإسلام، وأنها أعظم الفرائض الظاهرة بعد التوحيد والصلاة.

فلذلك جعلها الله أركان دينه وأعظم فرائضه الظاهرة على عباده، وهي شعائر ظاهرة وكم في نوافل تلك الفرائض العظيمة من عظيم الغنيمة كالصدقات، وصيام الأيام الفاضلات، وتكرار العمرة والحج، والجهاد، والمجاهدة للنفس على أنواع الطاعات، وخصوصًا نافلة الصلاة من الأجر العظيم والثواب الكريم.

ولقد كان النبي ﷺ يتعبد لله تعالى بنوافل جنس هذه العبادات في أول دعوته قبل هجرته، وبعدها حتى فرضت عليه فرائضها، فكان ﷺ أكمل الناس عناية بفريضتها، وإكثارًا من نافلتها مع الإحسان فيها والمداومة عليه، وهديه ﷺ في هذه العبادات معلوم لدى أهل العلم بسيرته وسنته منذ فرضها الله عليه حتى الممات، ووصاياه للأمة بتلك القربات ثابت بالأحاديث الصحيحات.

فليكن الداعية من أئمة الناس في ذلك حتى يكون له أجره ومثل أجر من اقتدى به مع ثواب إحياء السنن ونشر الهدى، فإن التقرب إلى الله بالنوافل مما يكمل الله به الفرائض، فإن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله صلاته، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن وجدت ناقصة قال الله تعالى للملائكة أنظروا هل لعبدي من نوافل؟ فيتم بها ما انتقص من فريضته، ثم يسار بسائر العمل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على نحو ذلك، كل فريضة تكمل من نافلتها التي من جنسها، مع أن التقرب بالنوافل من أسباب محبة الله للعبد وحفظه له في حواسه وجوارحه واستجابة دعائه ودفاع الله تعالى عنه، وحفظه له في حواسه وجوارحه، وأن يمتعه الله تعالى بها متاعا حسنًا إلى أجل مسمى، كما في الحديث القدسي الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»(١).

فالتقرب إلى الله تعالى بالنوافل ـ بعد أداء الفرائض ـ يجعل العبد فائزًا بولاية الله ومحبته، محاطًا بمعية الله وعنايته، مجابًا عند مسألته، مجارًا مما يحاذر في يومه وليلته.

وكان النبي ﷺ كثير الصدقة، كثير الصوم، فيصوم حتى يقال: لا يفطر، واعتمر ﷺ خلال عشر سنوات أربع عمر، مع ما هو فيه من مجاهدة المنافقين والجهاد في سبيل الله، وتعليم العلم والدعوة إلى الله تعالى، ونحو ذلك من أنواع الطاعات وجليل القربات، وهو ﷺ إمام المسلمين عامة والدعاة خاصة في استباق الخيرات والمسارعة إلى المغفرة والجنات.

*****

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عاشرًا:

الكـرم والجـــود

الكرم: هو سعة الخلق، فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر من الإنسان، ولا يقال هو كريم حتى يظهر منه ذلك، فيقال للشخص بأنه كريم إذا ظهر منه أعمالٌ كبيرة: كإنفاق مال في تجهيز جيش الغزاة، أو تحمل حمالة تُرفأ بها دماء قوم وقعت بينهم فتنة وقتال.

وأكرم الأفعال المحمودة ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرف الوجوه ما يقصد به وجه الله تعالى، فمن قصد وجه الله تعالى في أفعاله فهو التقي الكريم، قال تعالى:] Q R S T U W X Y Z Z [الحجرات:١٣]، فأكرم الناس من قصد بأفعاله المحمودة وجه الله تعالى، وهو الذي يفوز بثواب الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل:] " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [النساء:١١٤]، فخص سبحانه بالأجر العظيم من أراد بإحسانه مرضاة الله الكريم.

وكل شيء يشرف في بابه يوصف بأنه كريم، كما قال تعالى:] وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ © مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا µ ´ ¶ ¸ كَرِيمٍ Z [لقمان:١٠]، فأشرف كل جنس أكرمه، ولما كان عطاء الله ورزقه لعباده وثوابه لهم لا نظير له في حسنه وكثرته وسعته وُصف بأنه كريم، كما قال تعالى:] F G H I J K L M Z [الحج:٥٠]، وقال تعالى:] © بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ Z [يس:١١].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد سمى سبحانه نفسه بالكريم والأكرم، ووصف نفسه بالكرم، لأن لفظ الكرم جامع للمحاسن، لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه، وإلا فالكرم كثرة الخير ويسره، فالله سبحانه أخبر بأنه الأكرم في قوله تعالى:] Z X W V [[العلق:٣]، ـ بصيغة التفضيل والتعريف لها ـ، فدل على أنه الأكرم وحده مطلقًا غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه، فهو سبحانه الكريم مطلقًا الذي كمل كرمه وكبر فضله.

أما الجود: فهو سعة العطاء وكثرته، ولهذا يوصف الله تبارك وتعالى به لسعة عطائه وكثرته، كما في سنن الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود**»(١)، فالله تعالى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وكل ما بالعباد من نعم فمن جوده وكرمه سبحانه وتعالى.

ولما كان الله تبارك وتعالى قد جبل نبيه محمدًا ﷺ على أكمل الهيئات وأشرفها وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق كان ﷺ أكرم الناس وأجود الناس على الإطلاق كما كان أفضلهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، ففي صحيح مسلم رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ كان يقول ـ في استفتاح صلاة الليل ـ: «**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**»(٢)، وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٧١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأشجع الناس(١).

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، فيدارسه القرآن. فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة(٢).

وفي الصحيحين عن جابر قال: «ما سُئل رسولُ الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا»(٣)، وفي الترمذي وغيره ـ بسند قوي ـ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيئًا لغد(٤).

والمقصود: أن الكرم والجود من الأخلاق الكريمة والصفات الجليلة التي يحبها الله تعالى، وجبل عليها نبيه محمدًا ﷺ، وشرع لعباده المؤمنين التأسي به ﷺ فيها، فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بالكرم والجود عن احتساب وغنى نفس، وليجاهد نفسه على ذلك فإنه منصور ومهدي، قال تعالى: [p q r s t v w x y Z [العنكبوت:٦٩]، وقال سبحانه:] وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z [الحشر:٩].

وكما أن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتصبر يصبره الله، فهكذا من جاهد نفسه على الجود والكرم وفقه وزاد من فضله وبارك له فيما أعطاه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٢٠)؛ ومسلم برقم: (٢٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦)؛ ومسلم برقم: (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٣٤)؛ ومسلم برقم: (٢٣١١).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٦٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وحشره مع أهل الكرم والتقوى، فما أكرم المآل وما أعظم البشرى!! وحتى يكون من أتباع نبيه ﷺ ومرافقيه في الجنة، فإن الله تعالى لما خلق جنة عدن بيده قال لها: «**تكلمي**»، قالت: قد أفلح المؤمنون، قال تعالى: «**وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل**»(١).

وحتى يكون الداعية ناجحًا في دعوته نافعًا للخلق بفضل ما آتاه الله تعالى، فإن الكرم والجود من أسباب محبة الخلق وهدايتهم للحق، ولذا كان الكرم والجود ديدن النبي ﷺ وأظهر أخلاقه، فكان ﷺ أكرم الخلق نفسًا وأجودهم بالخير وأجزلهم عطية، فكان ﷺ لا يحصي ما يعطي، ولا يَمُنُّ بما أعطى، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(٢).

وفيه أيضًا أن النبي ﷺ أعطى يوم حنين صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة، ثم مائة(٣)، قال صفوان رضي الله عنه: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ يومئذ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ.

---

(١) أخرجه الديلمي (١/١٨١) برقم: (٦٧٥)، والطبراني في الأوسط (٥/٣٤٩) برقم: (٥٥١٨)، وأورده الهندي في كنز العمال برقم: (١٥١٣٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب برقم: (٢١٩٢)، وفي السلسلة الضعيفة برقم: (١٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٣١٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٣١٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للأعراب يوم حنين: «**فلو كان لي عدد هذه العضاة - أي الشجر الذي في الوادي - نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا**»(١).

ففي كرمه ﷺ وجوده أسوة للداعية إلى الله تعالى الذي يرجو أن يكون من اتباع المصطفى ﷺ في الدعوة على بصيرة، وأن يجمعه الله تعالى به في الجنة لما كان عليه من محبته واتباعه في السيرة، فإذا جمع الله للداعية أن مَنَّ سبحانه عليه ببذل العلم والدعوة إلى الخير، والجود بالمال في وجوه الخير ابتغاء وجه الله تعالى، فقد جمع الله له أسس الخير وأعلى مقامات الإحسان والبر وصدق المصطفى ﷺ إذ يقول: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسُلِّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(٢) متفق عليه. فكيف إذا جمع له بين الاثنين: العلم والمال، والجود والكرم فيهما؟!

وفي الترمذي عن أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه**...الحديث، وفيه: قال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء**...الحديث»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٣)؛ ومسلم برقم: (٨١٦).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٢٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فأنفق ـ أخي الداعية ـ مما آتاك اللهُ في وجوه الخير عند الحاجة، وعلى قدر الطاقة، وعن طيب نفس، ولا تتطلع إلى ما بيد غيرك، فإن حد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن توصله مستحقه بقدر الطاقة، فكن سخيًا متورعًا متعففًا جوادًا كريمًا، فإن السخي قريب من الله تعالى، ومن خلقه، ومن أهله، وقريب من الجنة، وبعيد من النار.

ولا تظنن أن كثرة الإنفاق تنقص الرزق ـ فذلك ظن سوء برب العالمين ـ بل ثق أن ما أنفقته سيخلف الله عليك بدله وخيرًا منه، قال تعالى:] وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ Z [سبأ:٣٩].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(١)، وفيهما أيضًا عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **يا ابن آدم أَنفق أُنفق عليك**»(٢)، وفيهما عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» (٣).

وفي البخاري عنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خصلة أعلاهنّ منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**» (٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٤٢)؛ ومسلم برقم: (١٠١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٦٨٤)؛ ومسلم برقم: (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٢)؛ ومسلم برقم: (٣٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٣١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com